المحاضرة الثانية:الأسلوبية التعبيرية

تمهيد:

إنّ دراسة اللغة لا تكون فقط من زاويتي المتكلم أو المخاطب، والذين تربطهما فكرة جسدتها الوسائل اللغوية، حتى أصبحت كلاما يعبر فكرة. تحمل في طياتها مواقف وجدانية. وعليه جاءت الأسلوبية التعبيرية لتهتم بهذا المحتوى العاطفي للغة. لأنّ وظيفة اللغة ليست مقتصرة على نقل الأفكار فقط بل تعمل «على نقل الإحساس والعاطفة... فلابد أن تنقل الجانب المنطقي والجانب الانفعالي»"[1]" وبعبارة أخرى، فالأسلوبية التعبيرية تركز في دراستها على أمرين هما: الوقائع التعبيرية، والأثر الذي تتركه في المتلقي؛ أي القيمة الرمزية لوقائع التعبير.

والوقائع التعبيرية نوعان؛ «منها ما هو منطقي تجريدي، يتخذ من القواعد العامة مجالا لتحقيق غايته. ومنها ما هو وجداني فعلي، يتخذ من اللغة اليومية التي تنتشر في كل مكان معبرة عن العواطف والأحاسيس ميدانا له»"[2]" وفي هذا إشارة إلى علاقة اللغة بالتفكير، وما ينتج عنها سواء كانت أحكاما قطعية منطقية، أم ما نتج عن مواقف عاطفية وجدانية.

فالنص الأدبي هو مجموعة من العناصر اللغوية والوجدانية والجمالية، التي هي في حقيقة الأمر صورة واضحة تعكس ذات المبدع وبيئته. وتحمل رسالة معينة إلى المتلقي.

---

[1]– محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة مصر، ط1: 1994 م، ص175. باختصار

[2]– مجيد مطشر عامر، في الفكر اللساني الحديث، شارل بالي وأسلوبيته التعبيرية، مجلة آداب البصرة، العدد 56، سنة 2011، ص 112.

وبالتالي فكل عمل إبداعي يحتاج لكاتب مرسل ومتلقي ورسالة (النص الأدبي). وهذه العناصر الثلاثة متكاملة فيما بينها لا يكمن الفصل بينها. ضف إلى ذلك، أنّ العمل الأدبي يتميز عن غيره بتأدية وظائف أخرى ترتبط بالتأثير الانفعالي في المتلقي، وما يمكن أن ترتبط بذلك من توصيل شحنة دلالية ينفعل بها المتلقي انفعالا معينا"[3]" فهذه الوظائف هي توصل لمعرفة عاطفة المبدع من خلال نصه الإبداعي، وهذا ما قامت على أساسه الأسلوبية التعبيرية.

أخذت الأسلوبية التعبيرية حيزا واسعا في مجال الدراسات اللغوية، فلم تكتف بأن تكون فرعا من فروع اللسانيات التي وضعها دي سوسير، وإنما أصلت لنفسها مبادئا آليات خاصة بها عبر المستويات اللسانية.

آليات الأسلوبية التعبيرية

إنّ المميز في أسلوبية شارل بالي، أنّه حاول استثمارها في كافة المستويات اللغوية؛ لأنّه لم يخرج عن لسانيات أستاذه دي سوسير، وذلك من أجل الوصول إلى تحديد الملامح الأسلوبية التي تميز أي خطاب لغوي عن غيره. وهذا المستويات هي: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي.

يرى بيير جيرو أنّ: «الأصوات مستقلة عن أية نبرة خاصة: إنّ لها في كلمة (أشكركم) قيمة إيصالية بحتة، وتبلغ المحادث امتناني»"[4]" فهو يقصد بالأصوات كلا من

[3]– مجيد مطشر عامر، في الفكر اللساني الحديث، شارل بالي وأسلوبيته التعبيرية، ص 115. بتصرف.
[4]– بيير جيرو، الأسلوبية، ص 50.

الصائت والصامت ودلالتها مع بعض؛ بعيدا عن التلوينات الصوتية كالنبر والتنغيم وغيرها. فهذه هي القيمة المفهومية أو العامة. وهي منطق التعبير.

الصوتيات الندائية

يوحي مصطلح النداء بالاستجابة أو رد فعل. فالصوتيات الندائية تدرس المتغيرات الصوتية التي تهدف إلى التأثير في السامع أي المتلقي. وتدعى أيضا الصوتيات الانطباعية، لأنها تعنى باستجابات السامع وردود أفعاله"[5]".

الصوتيات التعبيرية

تهدف إلى كشف الوقائع التعبيرية للغة؛ أي التغيرات اللغوية الناجمة عن السلوك العفوي للمتكلم؛ أي الاستعمال العفوي أو غير الشعوري للأصوات، وذلك للكشف عن الأصول الاجتماعية للمتحدث أو عن ميوله النفسية"[6]". وفيها يتم رصد مجموعة من الظواهر التي يعتمدها المتكلم كالنبر والتنغيم والتكرار...

إنّ الأسلوبية الصوتية تلزم على الباحث الإلمام بجميع فروع علم الأصوات وبخاصة علم الأصوات السمعي؛ لأنّه هو الذي يبرز الأثر في المتلقي.

الأسلوبية الصرفية

يهتم المستوى الصرفي بالمفردة من حيث بنائها ووزنها وشكلها، فالتغيير في شكل المفردة وتكوينها، سواء كانت فعلا أم اسما، يغير في دلالتها. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ المحصول الأسلوبي للبنى الصرفية ضعيف عموما في اللغة الفرنسية على عكس لغتنا

[5]– نفسه، ص 50. بتصرف.

[6]– نفسه. بتصرف.

العربية تمتك نظاما للتصغير وللتفخيم ذا قيمة وجدانية، بالإضافة إلى ظاهرة الاشتقاق، التي تثري القاموس اللغوي، فنجد الجذر نفسه لا يتغير وإنما تلحقه زوائد. وغيرها من الظواهر الصرفية التي تحمل دلالة مثل المجرد والمزيد. كما أنّ استخدام الفئات القاعدية كالجنس والعدد والتنكير ومختلف أجزاء الخطاب يساهم في إبراز العلاقة القائمة بين الصيغ التعبيرية. وهذا ما تهتم به الأسلوبية"[7]".

الأسلوبية النحوية

تدرس هذه الأسلوبية التراكيب النحوية للجمل، فكل تقديم وتأخير بين عناصر الجملة إلا وله دلالة معينة، وكذا أساليب المدح والذم والتعجب. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يحمل الفعل دلالة خاصة فهو الحدث الذي تقوم عليه الجملة، ودلالته تتحدد من وظيفته في الجملة؛ «فصيغة الفعل الناقص تدل على التحذلق في المحادثة وتثير الضحك، وأمّا الماضي البعيد فهو فعل قديم، ريفي أو ادعائي. غير أنّ الحاضر التاريخي يعطي للقصة تشويقا حارا، قصيرا وتلقائيا»"[8]" فعند التحليل الأسلوبي نركز على الصيغة الفعلية وما تحمله من دلالات عبر مختلف الأزمنة وبشتى الأشكال الذي تفرضها طبيعة المقام الذي قيلت فيه.

دلالة التعبير

تنطلق دلالة التعبير من المفردات فهي الدعامة والمحرك الأساسي لها، وقد ركز بالي على دراسة الألفاظ على مستوى الدلالة، وعلى قضية الآثار الطبيعية للكلمات، والآثار الاستدعائية. كما طرح قضية تغيرات المعنى[9].

---

[7]– بيير جيرو، الأسلوبية، ص 61. بتصرف.

[8]– نفسه. ص 64

[9]– بيير جيرو، الأسلوبية، ص 64.

فالآثار الطبيعية ترتبط بالمستويين الصوتي والصرفي، فهناك «كلمات صوتية معللة، تكون العلاقة فيها قائمة بين الصوت والمعنى، ويساهم شكل الكلمة في إعطائها قيمة أسلوبية، بالإضافة إلى التعليل الصرفي ومحصول أسلوبي للاشتقاق والتأليف»"[10]" وفي هذا إشارة إلى العلاقة القائمة بين الصوت والصرف، فتغيير في شكل الصيغة بزيادة صامت أو صامتين أو تغير في شكل صوائتها يحيد بها من دلالتها الأصلية إلى دلالة فرعية.

أمّا آثار الاستدعاء، فتشكل «ميدانا رفيعا للدلالة الأسلوبية»"[11]" فللنبر مثلا أثر في توجيه دلالة الجملة، كما أن انتقاء الألفاظ بحسب مقتضى الحال هو الذي يحدث أثر بالغا في ذهن المتلقي.

[10]– نفسه، ص 64.

[11]– نفسه، ص 65.